مجلة إشكالات في اللغة والأدب — مجلد: 10 عدد: 5 السنة: 2021
ص: 761 - 772 — E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

واقعية الاستبداد الكولونيالي في ثلاثية محمد ديب

The Realism of Colonial Despotism in Muhammed Deeb's Trilogy

د. إيمان نوري *

Imane nouri

مخبر التراث والدراسات اللسانية

جامعة الشاذلي بن جديد –الطارف / الجزائر

University chadli ben jdid – El Taref- Algeria

imanenouri12@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2020/11/09	تاريخ القبول: 2021/05/29	تاريخ النشر: 2021/12/25

ملخص البحث

يعالج هذا المقال إشكالية تأثير المذاهب الفنية المعاصرة في الكتابة الروائية، وانتقال هذه المذاهب من الفن إلى الأدب، من خلال كتاب نقلوا آليات فنية وطبقوها على مدونات أدبية، ونجد الكتاب الفرونكوفونيين من أكثر الكتاب الذين ساهموا إسهاما كبيرا في هذا المجال، لأنهم مثقفون ثقافة أجنبية نشأت في كنفها هذه المذاهب، ومن أوائل هؤلاء الكتاب نجد الروائي **محمد ديب** الذي تأثر بالمذهب الواقعي في الفن ونقله إلى الأدب، من خلال ثلاثية الجزائر التي تميزت بواقعية مريرة غُمِست في لوحة تبين مظاهر الاستبداد الكولونيالي الفرنسي، مما جعل لروايته جمالية مميزة نتجت عن الوصف الواقعي للأحداث والشخصيات الجزائرية التي عانت من هذا الاستبداد في كل مناحي الحياة. لذلك نحن نتساءل: كيف استطاع **محمد ديب** نقل الاستبداد الكولونيالي في الجزائر أثناء الفترة الاستعمارية من خلال ثلاثية الجزائر؟

الكلمات المفتاح: تأثير، جمالية، الواقعية، محمد ديب، الثلاثية.

Abstract :

This article treats the problematic of the influence of modern artistic doctrines in fictional writing, and the transition of those doctrines from art to literature, via intellectual writers who have artistic culture allows them to applied it on literary texts. We find that, francophone novelists are the most influencers in this feild ; because of their own european culture.One of the most famous novelists is

* د. إيمان نوري: imanenouri12@gmail.com

mohammed deeb, the algerian writer who was influenced by realist doctrine in his novels especially in algeria trilogy which distinguished by it's realism shows the bitter reality of algerian citizens through french colonial period that's what gives his novels a special aestic resulted from a realistic description of events and characters.
Keywords: influence; aestic; realism ; mohammed deeb ; trilogy.

مقدمة

اهتم الكتاب الجزائريون الفرونكوفونيون بنقل المذاهب الفنية الكبرى التي ظهرت في أوربا إلى الأدب العربي، لأنهم كانوا على اطلاع مباشر على كل جديد مكتوب باللغة الفرنسية بحكم قراءتهم وإتقانهم لها، ومن أوائل هؤلاء الكتاب الذين ساهموا مساهمة كبيرة في هذا المجال نجد الروائي الجزائري الفرونكوفوني **محمد ديب**؛ الذي تأثر كثيرا بالمذهب الواقعي –الذي انتشر في الأدب الفرنسي في الحقبة التي كتب فيها– فنقله من خلال ثلاثيته الشهيرة: **الدار الكبيرة، الحريق، النول**.

أولا: المدرسة الواقعية من الرسم إلى الأدب:

كان ميلاد الواقعية مع الرسام الفرنسي **غوستاف كوربيه** (Gustave) courbet **''سنة 1855م، حين كتبها وهو يعني وقتذاك معنى محددا وجديدا يشير إلى نظرية فنية كانت تعتبر ثورية. إن الكلمة في حد ذاتها لم تكن جديدة، –وإن كانت محدثة – فالواقعية اسما ظهرت سنة 1803 برغم أن صفة واقعي كانت معروفة منذ أكثر من قرنين من الزمان قبل هذا التاريخ''**[1]؛ فقد وُجدت كلمة **واقعية** في قواميس اللغة منذ القديم، لكنها دخلت مجال التوسع الدلالي، فأضيفت إليها بعض الملامح التمييزية لتصبح لفظا دالا على اتجاه فني أو مدرسة من مدارس الرسم تسمى: **المدرسة الواقعية**.

منذ بداية الحركة الواقعية امتزجت فيها مواهب الرسامين مع مواهب الكتاب والروائيين، ورغم أن ميلاد الواقعية كان على يد الرسام **كوربيه**، إلا أن المبادئ النظرية لهذا الاتجاه الفني ظهرت **''على يد كاتبين لم يعد أحد يذكر اسميهما إلا لكونهما المنظران لهذا المذهب، وهما: ديرانتي وشامفلوري Champfleury"**[2] هذا الأخير الذي وضع واحدا من أهم مبادئ الواقعية والتي أوردها في

كتابه: **le Réalisme** أو **'الواقعية'** وهو: **''أفضل الكتب هي تلك التي يعتقد كل قارئ لها أنه كاتبها'**[3]، أي تلك التي تحاكي الحياة الواقعية بطريقة شديدة الواقعية.

ثانيا: الرواية الواقعية:

تتميز الرواية الواقعية بأنها لا تقدم الإنسان والمجتمع انطلاقا من وجهة نظر تجريدية وذاتية، و إنما تبرزهما في حقيقتهما المجردة من أدوات الزينة ومواد التجميل اللغوية والتركيبية؛ إذ يجب على الكاتب في الرواية الواقعية أن ينقل الواقع كما تراه عدسة الكاميرا بكل عاهاته وتشوهاته؛ فهي **''لا تعني مطلقا رفض التلوث في علاقته بالحياة العصرية ورفض ديناميكية الطباع المؤقتة التي تجزئ كلية الإنسان والطابع النموذجي الموضوعي المتعلق بالناس وبالمواقف، ويلعب هذا الصراع دورا حاسما في الواقعية'**[4]؛ أي أنها لا تطلب من معتنقيها تجميل الواقع أو تجاوز مواطن الضعف فيه، بل على العكس من ذلك، إذ عليهم الغوص في طينه وتلويث أعمالهم بهذا الطين.

الواقعية في الفن إذن، هي نقل للواقع كما هو بتناقضاته وسلبياته، بجماله وبشاعته، وهي كذلك في الأدب عموما والرواية تحديدا وصف واقعي بأسلوب أدبي لشخصياتٍ من الواقع، شخصياتٌ لباسها أقرب إلى لباس الناس، وتصرفاتها أقرب إلى تصرفاتهم، تصرفات ليس فيها تزييف ولا تنميق بل إنها تصل إلى درجة الابتذال الوصفي أحيانا، إنه الإغراق في الواقعية الذي أدى بهذه المدرسة إلى الغرق في الواقع؛ نظرا لاعتقاد رواد هذا المذهب أن الفنان **''ما هو إلا ناقل لما يراه و وظيفته الوحيدة هي الوصول إلى أحسن أسلوب لنقل صورة هذا الواقع بطريقة مقبولة وجميلة، فقد يكون المنظر غير مستحب ولكن دقة الوصف وانتقاء الكلمات ونغم الجمل وقوة تأثيرها على القارئ هي الفن وحده''**[5]

مهما كان مجال اشتغال المبدع سواء كان رساما أو روائيا فإن أهم ما تدعو إليه الواقعية وأكثر ما تطلبه من المبدعين المنضوين تحت لوائها هو ضرورة الالتزام بالعالم في حقيقته الواقعية بعيدا عن غيوم الشعراء وخيالاتهم؛ إذ **''على المبدع أن يلتزم بوصف ما تراه عينه التي يجب أن تكون أشبه بكاميرا فوتوغرافية لا تُحرِّف ما تراه بل تنقله كما هو دون ترفع عن دنيء تنبو منه الأنفس أو قبيح تهرب منه الأعين أو بذيء تترفع عن سماعه الآذان، وعلى الحقيقة أن توضع في أسلوب يترجم واقعها بالفعل دون محاولة تجميل لفظي حتى لا يكون للأسلوب أي نوع من الأهمية يطغى على الواقع فالحقيقة وحدها جديرة بكل اهتمام الفنان'**[6]

حتى تكون فنانا واقعيا يجب عليك أن تحمل في يدك مرآة لترى من خلالها الواقع، فتصوره كما هو، وتنقله كما يظهر فيها دون تجميل لقبيح أو تعديل لمعوجٍّ، ليس عليك إلا أن تحمل ريشتك وترسم بها ما تراه عيناك إن كنت رساما، أو أن تحمل قلمك وتكتب به ما علق في ذاكرتك دون تعديلٍ إن كنت كاتبا روائيا..

هذا ما نجده مجسدا في ثلاثية الكاتب **محمد ديب** التي يتجلى فيها الواقع الجزائري أثناء فترة الاحتلال الفرنسي بجماله وبشاعته، بحقيقته العارية والمجردة من كل تنميق أو تجديد، إنها تصوير واقعي للواقع كما عايشه أهله، وتتجلى مظاهر تأثير الفن الواقعي في الرواية من خلال العناصر الآتية:

1. واقعية الشخصيات

تعتبر الشخصية الروائية في الأدب الواقعي شخصية متميزة بكونها واقعية بامتياز، إذ **"ليس لأبطال مؤلفات الواقعيين أي شأن بطولي، فهم على عكس ذلك كائنات بشرية مألوفة يتلقفها شرك الأمور اليومية بكل ما تشمل عليه من شؤون مبتذلة ومأساوية"**[7]

وهذا ما نجده مجسدا في أبطال ثلاثية الجزائر، هؤلاء الأبطال الذين يعيشون حياة عادية يجمع بينهم قاسم مشترك هو: البحث عن لقمة العيش، وإسكات الجوع في رحلة جري يومية وراء قطعة خبز، ومن أهم شخصيات الرواية نجد:

1. أ. .شخصية عمر

عمر طفل صغير عمره عشر سنوات ارتبط الحديث عنه في الجزء الأول من الثلاثية **الدار الكبيرة** بالبحث عن قطعة خبز؛ إذ كان دائم البحث عنها وإن كانت جافة ويابسة ولا تسمن ولا تغني عن جوع؛ فقد بدأ **محمد ديب** روايته بالقول على لسان عمر:

"_هات قليلا مما تأكل

قال عمر ذلك، وهو يقف أمام رشيد بري.

ولم يكن عمر وحيدا. فإن شبكة من الأيدي قد امتدت تلح كل منها في طلب نصيبها من الصدقة."[8]

هكذا كان عمر وأصدقاؤه في المدرسة يقضون وقتهم في الركض وراء قطعة خبز بدل البحث عن علم ينتفع به، ثم عندما يعود عمر إلى منزله الواقع في دار سبيطار فإن رحلة البحث عن الخبز لا تتوقف

بل تزيد إلحاحا على بطن عمر الجائع هو وأمه وأخواته؛ **"إنهم في سائر النهار أقل جهامة.. حتى إذا اقتربت ساعة الطعام، عاودهم شاغلهم الوحيد، فانقطعت مريم وانقطع عمر عن اللعب، وارتسمت على وجوههم معاني الغضب.**

كانت عيني، فيما مضى من الزمان، تستطيع أن تهدئهم بحيلة ماكرة: كانوا يومئذ صغارا.

كان يكفي أن يكون عندها قليل من فحم عند المساء، حتى تملأ الحلة ماء، وتدع الماء يغلي (...) وفيما هي تقول لهم ذلك، يغلبهم نعاس لا حيلة لهم في دفعه، فتُطبق أجفانهم بثقل كأنه ثقل الرصاص، وكانوا ينامون.. ثم يغرقون في سبات عميق.."[9]، لكن هذه الحيلة لم تعد تنفع بعد أن كبر أولادها الذين لم يعد يشغلهم غير البحث عن قطعة خبز.

وعلى الرغم من انشغال عمر الدائم بإسكات جوعه إلا أنه كان يتفكر أحيانا في بعض الأمور التي تهمه، كذلك اليوم الذي تحدث لهم فيه معلمهم عن معنى الوطن فقال عمر:

"يستحيل أن يفكر المرء في الخبز طوال الوقت.

أي بلد هو بلده؟ .. إن عمر يود لو يسأل المعلم ذلك، كي يعلم.

أين أولئك الخبثاء الذين يدعون أنهم هم السادة.. من هم أعداء بلده، من هم أعداء وطنه.. ولم يكن عمر يجرؤ على أن يفتح فمه لطرح هذه الأسئلة، بسبب طعم الخبز"[10]؛ أي أنه حتى في اللحظة النادرة التي تفتح فيها ذهن عمر ليسأل أسئلة جادة حرمته قطعة الخبز التي يلوكها في فمه من أن يطرحها ليعبر عن رأيه.

قتلت فرنسا في الفرد الجزائري أثناء فترة الاحتلال بسبب استبدادها الكولونيالي كل أمل أو طموح أو فرح، فلم يعد الآباء والأمهات –بالأجور الزهيدة التي يتقاضونها– يبحثون إلا عن إسكات بطون أطفالهم الخاوية، هؤلاء الأطفال الذين كانوا يذهبون إلى المدارس الفرنسية من أجل التعلم فيها، لكن جوعهم حرمهم متعة العلم والتعلم؛ ذلك أن الجوع ضغط على عقولهم فأفرغها من كل شيء ولم يبق فيها سوى صورة قطعة الخبز صعبة المنال التي قد يضطرون إلى الاقتتال فقط من أجل الحصول عليها.

1. ب. شخصية عيني

هي شخصية صورها الكاتب بواقعية مأساوية وسوداوية جدا، فهي أرملة توفي زوجها وترك لها ثلاثة أطفال، ولد ذكر هو عمر –بطل الثلاثية– وفتاتان هما: مريم وعيوشة، وكان زوجها سكيرا لا

يصلح لشيء لذلك غادر هذه الحياة باكرا دون أن يترك لهم شيئا يقتاتون منه، وهو الأمر الذي جعل زوجته حاقدة عليه حقدا شديدا؛ فكانت ترفض زيارة قبره، كما أنها كلما ضاقت عليها الدنيا وخنقتها تفاصيل الحياة المؤلمة تذكرت زوجها، وذكرته بسوء، تقول: **" ذلك الرجل لا يصلح لشيء: ترك لنا البؤس. غيب وجهه في التراب، وسقطت علي جميع أنواع الشقاء.. الشقاء هو نصيبي طوال حياتي.. هو الآن هادئ في قبره.. لم يفكر يوما في ادخار قرش واحد.. وها أنتم تتشبثون بي كالعلق الذي يمتص الدم. لقد كنت غبية.. كان ينبغي أن أترككم في الشارع، وأن أهرب إلى جبل خال مقفر** (...)

الشقاء هو حظي من الحياة."[11]

رسم **محمد ديب** ملامح شخصية عيني بريشة مغمسة في واقع المرأة الجزائرية الأرملة أثناء الاحتلال الفرنسي؛ فجاءت صورتها صورة باهتة بالأبيض والأسود لا تحوي لونا فاتحا واحدا؛ إنها زوجة حاقدة على زوجها الميت، وهي أم تمنت لو أنها تركت أولادها في الشارع ليلاقوا مصيرهم –مهما كان هذا المصير–، وأن تعيش وحيدة بعيدا عنهم في أحد الجبال المقفرة الموحشة، كما أن الحياة الواقعية البائسة التي تحياها جعلت منها ابنة عاقة تعامل أمها أسوء معاملة؛ فقد كانت تنزعج منها لأتفه سبب، وكانت عندما تأتيها بالطعام مثلا تصرخ في وجهها:

"_هيه.. ألا ترين أنني آتية بطعامك؟ أم أن ما آتيك به لا يرضيك..

ولكن العجوز لا تتحرك. فكانت عيني تتناول الطاسة، وتقبض على رأس الجدة، ثم تدسها تحت أنفها، فتقول الجدة:

_نعم يا بنيتي. رأيت. لماذا تعامليني هذه المعاملة؟

فتقول عيني، وهي تهزها دون مراعاة: خذي كلي.

وتضيف إلى ذلك مدمدمة بين أسنانها: ((ليته سم))"[12].

إنهما العوز والحاجة عندما يطوقان رقبة الإنسان بشدة، فيجردانه من معاني الإنسانية، عندها تصبح الأم عبئا ثقيلا يقسم الظهر، ويصبح الأبناء علقة تمتص الدم.

نقل إلينا **محمد ديب** يوميات الجزائريين المقيمين في دار سبيطار أثناء فترة الاستعمار الفرنسي بواقعية مريرة عنوانها: المعاناة والبؤس –أثناء فترة الاستبداد الكولونيالي– في سبيل الحصول على قطعة

خبز حتى لا يموتون جوعا؛ حيث غمس الكاتب ريشته في هذه المعاناة بكل جزئياتها ونقلها بصدق وواقعية المذهب الواقعي.

1. ج. فلاحو قرية بني بوبلان في رواية الحريق

نقلنا الكاتب في الجزء الثاني من ثلاثيته المعنون بـ: **الحريق** إلى قرية قريبة من قرى مدينة تلمسان، وهي قرية **بني بوبلان** التي انتقل إليها عمر رفقة صديقته المقربة زهور، فنقل **محمد ديب** بصدق وواقعية صورة متكاملة عن حياة الفلاحين في تلك القرية؛ **"إن حياتهم تنقضي أيام زراعة لدى المستوطنين الفرنسيين، وهي حياة تبلغ من القدم، ويبلغ أصحابها من بساطة العيش درجة تحسبهم معها آتين من قارة منسية. إن الأرض هناك في الأعالي صعبة المراس لا ماء فيها، قاحلة تختنق ظمأ، ولا تكاد تستطيع سكة المحراث القديم أن تحزها. والفلاحون كثيرا ما تُلم بهم المجاعة، وحين يهبط الليل، فيبتلع الظلام تلك الأكواخ الحقيرة التي يسكنها هؤلاء الفلاحون، تنطلق بنات آوى مطوفة في الأجواء ناعبة"**[13]، إن حياتهم تنقضي في خدمة المستعمر الذي سلب أرضا تعود إليهم في الأصل، أرض من المفترض أنهم يملكونها ويعملون فيها ويعود ريعها إليهم وحدهم، لكن المعمرين أخذوها عنوة وجعلوا من الفلاحين أجراء في أرضهم، وجعلوا من هذه البقعة الضئيلة على خارطة الجزائر بقعة لم توجد فيها **"الحضارة قط، ما يظن حضارة فهو وهم باطل، إن مصير العالم على هذه الروابي هو الشقاء"**[14]

لم يختلف المشهد كثيرا بين صورة حياة الجزائريين في المدينة وحياتهم في القرية؛ فالفقر هنا وهناك أيضا، والبؤس والشقاء يتقاسمهما الناس في كلتا الصورتين، وظلم المستعمر هنا حرم الطفل الصغير من اللعب والتعلم مثل غيره من الأطفال، وحرم الرجل والمرأة من العيش بكرامة، وقهر المستعمر هناك حرم الفلاحين من استغلال أراضيهم التي أصبحوا يعملون فيها بأجور زهيدة.

1. د. عمال مصنع النسيج والمتسولون في رواية النول

عنون **محمد ديب** الجزء الثالث من ثلاثية بـ: **النول**؛ إذ رسم الكاتب في هذا الجزء صورة لنوعين من الشخصيات الواقعية التي عاشت في الجزائر أثناء الفترة الاستعمارية هما:

*** عمال مصنع النسيج**

انتقل عمر في هذا الجزء الأخير من الثلاثية للعمل في مصنع للنسيج بعد أن انقطع عن الدراسة؛ ذلك أن جهود أمه وأختيه في العمل لم تعد كافية من أجل إسكات جوع أفراد العائلة، فالتحق عمر بمصنع للنسيج أين التقى بعدد من الشخصيات المتنوعة الانتماءات الفكرية والعقدية؛ فقد كان منهم المؤمن الذي يؤمن بالله ولا يترك الصلاة تفوته، وكثيرا ما كان يرفع صوته بالقرآن مرتلا، ومنهم الملحد الكافر الذي يشرب الخمر ولا يبالي لحلال أو حرام، ومنهم الأطفال الذين بدأوا يتحسسون طريقهم في هذه الحياة ليعرفوا في أي اتجاه يسيرون، وأي مسلك يسلكون.

جعل **محمد ديب** قاسما مشتركا بين جميع عمال المصنع هو العمل الجاد والمرهق في المعمل دون الحصول على أجر كاف، كما يشترك هؤلاء العمال في ملامح التعب والبؤس البادية على قسمات وجوههم؛ **"إذ اكتست وجوه جميع الحائكين هيئة الجد والتعب. والرأس الكبير ذو اللحية رأس عكاشة، يهتز وقد غشت عينيه ظلال متوحشة قاسية. والهمهمة الراعشة التي تهدهد المصنع كله، ما تنفك تتخللها شتائم يلفظها قائلوها بصوت خافت.** (...) **العمال يدفعون المكاكيك ويخبطون الأمشاط وقد تجهمت وجوههم وصمتوا لا ينبسون بكلمة"**[15]

هكذا كانت حياة العمال في مصنع النسيج بائسة تعيسة، ينطلقون في العمل قبل شروق الشمس بقليل وينهون عملهم بعد غيابها بكثير، يشتركون في ملامح البؤس والشقاء التي كانت تميز ملامحهم، والتي إن رسمها فنان ما على لوحة لما اختلفت تفاصيلها عما وصفه الكاتب **محمد ديب** في روايته، لأنه أبدع في الوصف بواقعية مجردة من كل تصنع أو تزييف أو تنميق أو تجاوز عن تفصيل وإن كان صغيرا جدا.

*** المتسولون**

ضيق المستعمر الخناق على الجزائريين في المدن والقرى، وضيق عليهم أبواب الرزق، فمن سياسة التجويع في المدينة إلى سلب أراضي الفلاحين في القرية؛ ما جعل الشعب كله بعضه أفقر من بعض، فظهر في المدن عدد من المتسولين الذين كانت تعج بهم الشوارع والطرقات، وقد رسم لهم الكاتب صورة واقعية بامتياز تصف ملامحهم الشكلية والنفسية والجسدية، فكان وصفه لهم أنهم أصحاب **"الملامح الغائرة، والعظام الناتئة، اللحي الشعثاء، ذلك كله ليس يلفت النظر كثيرا في هؤلاء الصعاليك: إن هذه الرؤوس التي كأنها رؤوس خراف شائعة في الريف، وإنهم صامتون لا يتكلمون، ساكنون لا**

يتحركون إلا قليلا، فذلك معروف في ضعاف العقول، غير أن هناك شيئا واحدا يخطف البصر فيهم: هذه الأعين الثابتة المسحورة''[16].

قد تختلف الأسماء، وتختلف الأوصاف الشكلية والسمات النفسية للشخصيات، لكن تبقى صورة الاستعمار تحمل عنوانا واحدا هو: البؤس والشقاء للمستعمَرين الذين ضُيِّق عليهم الخناق في المدينة، فتركوا المدارس وهجروا التعليم، وأصبحوا كالعبيد في المصانع يعملون مقابل أجر زهيد، كما أخذ أراضيهم في القرى وأحرق أكواخهم، فأصبحوا متسولين يموتون على الأرصفة.

2. واقعية المكان

يمثل المكان في الرواية الواقعية جزءا مهما منها، لأنه يجسد ما يعرف عند الواقعيين، وخاصة الطبيعيين منهم بـ: **البيئة**، والتي تعتبر عاملا أساسيا في بلورة شخصية الأبطال وتغيير منحنى حياتهم بتأثير منها.

كما أن المكان أيضا هو الحيز الروائي التي تتشكل من خلاله أحداث الرواية، ويأخذ المكان **''على عاتقه السياحة بالقارئ في عالم متخيل، تلك الرحلة التي تكون قادرة على الدخول بالقارئ إلى فضاء السرد''**[17]؛ إذ تعد هذه الأماكن أو الفضاءات بيئات تؤثر في الشخصيات وترسم لكل فرد من أفراد المجتمع الروائي طريقا خاصا يسير فيه ولا يحيد عنه لأن البيئة هي محركه وموجهه إلى الوجهة المفروض له أن يتوجه إليها، وهذا ما نجده في **ثلاثية الجزائر**؛ إذ أثرت البيئة المكانية كثيرا في شخصيات الأبطال وفي سير الأحداث في الرواية، وذلك حسب المكان الذي تواجدت فيه هذه الشخصيات، وسنركز على أماكن ثلاث هي:

2. أ. دار سبيطار 'الدار الكبيرة':

هي المكان الذي تدور فيه معظم أحداث الرواية، وقد وصفها الكاتب بقوله: **''إنها بيت كبير عتيق، موقوف على سكان همهم الأكبر اختصار النفقات. واجهة ليس فيها شيء من تناسق، تطل على الشارع الضيق الصغير، وبعد الواجهة رواق المدخل وهو رواق عريض مظلم، أخفض من الشارع، وهو ينعطف حتى يحجب النساء عن أبصار المارة. ويتصل الرواق بفناء على الطراز القديم في وسط بركة ماء''**[18]

دار سبيطار هي بمثابة تجمع سكاني يجمع بين جنباته عددا من السكان الذين يجمعهم همٌّ واحد هو البحث عن لقمة عيش تُسكِتُ صراخ البطون الجائعة، وقد **"كان عمر قد انتهى إلى تشبيه بيت سبيطار بسجن"**[19]، لأنه فعلا أشبه بسجن حبست فيه نسوة بعضهن أرامل يعملن من أجل إسكات البطون الجائعة، وبعضهن عانين من التفتيش المستمر لقوات الاحتلال لغرفهن بحثا عن أزواجهن أو إخوانهن المطلوبين.

2. ب. قرية بني بوبلان:

هذه القرية هي الفضاء المكاني الذي دارت فيه أحداث رواية الحريق، وهي تقع على مشارف مدينة تلمسان، إنها قرية تشبه في ملامحها جميع القرى الجزائرية؛ حيث تتميز بـ **"منحدرات حجرية مهدتها الرياح. إن نوامي مخشوشنة من نبات الدس والمصطكى تتعثر بها قدمك وتنزلق عليها.** (...) **الأرض خاوية. وتلك ضوضاء مبهمة ترقى إليك من السهل"**[20]، وقد شهدت هذه القرية الجميلة الهادئة أحداثا كثيرة بدأت بالإضراب الذي قام به العمال وانتهت باحتراق أرض أحد المعمرين التي بنيت فوقها أكواخ الفلاحين العاملين لديه فاحترقت هي الأخرى مما جعل العمال بلا مأوى.

2. ج. معمل النسيج:

هو مكان مظلم يصفه الكاتب بالكهف الموحش البارد والشديد الرطوبة يعمل فيه عمال النسيج لفترات طويلة دون راحة، ويحوي هذا المكان أيضا مغازل الصوف والأنوال وغيرها من أدوات الغزل والنسيج.

الخاتمة والنتائج:

* يعد المذهب الواقعي من أكثر المذاهب الفنية التي استرعت اهتمام الكتاب الروائيين حتى ينقلونه من الفن إلى الأدب، خاصة لدى الكتاب الفرونكوفونيين الذين كانوا أسبق من غيرهم في الاطلاع عليه، ونقله إلى الأدب العربي.

* حظي المذهب الواقعي باهتمام الكتاب الروائيين لما له من قوة تصويرية، وقدرة كبيرة على نقل الواقع بطريقة تجعل القارئ يعتقد مع كل صفحة يقلبها من صفحات الرواية أنه يرى لوحة وصفية متقنة لواقع عاشه مجموعة من الأفراد، فقرأه هو مجسدا في صور مرسومة بالكلمات.

* يتجسد المذهب الواقعي في ثلاثية الجزائر من خلال أمرين اثنين، أولهما: واقعية الشخصيات التي رسمها الكاتب بملامح شكلية تشبه كل أفراد الشعب الجزائري في تلك الفترة، وثانيهما: واقعية الأماكن والأحداث؛ حيث تحدث الكاتب عن أماكن حقيقية موجودة فعلا في الجزائر، كما أن الأحداث التي عاشتها الشخصيات هي أحداث واقعية.

* إن جمالية المذهب الواقعي، سواء في الأدب أو في الفن، تكمن في قدرته على إيجاد مكامن الألم داخل الفرد وفي المجتمع، وتصويرها بطريقة فنية مميزة، كما أنه يعد وثيقة تاريخية حقيقية إلى حد كبير، تؤرخ لحقبة تاريخية معينة، من خلال توثيق طريقة لباس وعيش أفراد مجتمع معين في فترة زمنية محددة، دون تزييفها أو إدخال ما هو زائف عليها، كما فعل ذلك الكاتب محمد ديب الذي صور لنا بدقة حقيقة معاناة الفرد الجزائري أثناء فترة الاستبداد الكولونيالي الفرنسي في الجزائر.

هوامش:

[1] داميين كرانت، الواقعية، ت: عبد الواحد لؤلؤة، موسوعة المصطلح النقدي، المجلد الثالث 3، بيروت، لبنان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1983، ص: 29.

[2] ليلى عنان، الواقعية في الأدب الفرنسي، دار المعارف (مصر)، 1975، ص: 39

[3] Champfleury (Jules), Le Réalisme, Michel Levy Frères, Paris, 1857, p : 08

[4] جورج لوكاتش، بلزاك والواقعية الفرنسية، ت: محمد علي اليوسفي، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، دار ابن رشد (لبنان)، دار محمد علي الحامي (تونس)، 1985، ص: 20.

[5] ليلى عنان، الواقعية في الأدب الفرنسي، ص: 39

[6] المرجع نفسه، ص: 31

[7] مجموعة من المؤلفين، تاريخ الآداب الأوربية، ت: موريس جلال، دمشق، سوريا، منشورات الهيئة السورية العامة للكتاب، 2013، ص: 08.

[8] محمد ديب، ثلاثية محمد ديب: النول، الحريق، الدار الكبيرة، ت: سامي الدروبي، بيروت، لبنان، دار الوحدة للطباعة والنشر، 1985 ص: 13.

[9] محمد ديب، ثلاثية محمد ديب: النول، الحريق، الدار الكبيرة، ت: سامي الدروبي، ص: 38، 39

[10] الرواية، ص: 20

[11] الرواية، ص: 24

[12]الرواية، ص: 86

[13]الرواية، ص: 118

[14]الرواية، ص: 118

[15]الرواية، ص: 308

[16]الرواية، ص: 326

[17]عبد المنعم زكريا القاضي، البنية السردية في الرواية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، القاهرة، مصر، د.ط، 2008، ص: 104.

[18]محمد ديب، ثلاثية محمد ديب: النول، الحريق، الدار الكبيرة، ت: سامي الدروبي، ص: 48

[19]الرواية، ص: 57

[20]الرواية، ص: 117